التَّارِيخُ: 2019/11/22

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،

" مَوْقِفُ الْمُؤْمِنِ فِي مُوَاجِهَةِ الْكَوَارِثِ "

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ مَرَّ نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ كانَتْ تَبْكِي وَتَصْرَخُ عِنْدَ قَبْرِ طِفْلِهَا. فَقَالَ لَهَا نَاصِحًا: **"إِيَّاكِ أَنْ تَعْصِي، اِتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي"** فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ الَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَعَرَّفَ عَلَى رَسُولِ اللهِ مِنْ شِدَّةِ حُزْنِهَا: "لاَ تَتَدَخَّلْ فِي أَمْرِي، إِلَيْكَ عَنِّي! فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تعْرِفْهَا." وَبَعْدَ هُنَيْهَةٍ، عِنْدَمَا أَدْرَكَتْ بِأَنَّ الَّذِي نَصَحَهَا هُوَ رَسُولُ اللهِ الْكَرِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ الْحَبِيبِ وَأَعْلَنَتْ اِعْتِذَارَهَا. فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَأَعْطَى نَبِيُّ الرَّحْمَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِلَيْهَا وَلَنَا النَّصِيحَةَ الْمُوجَزَةَ التَّالِيَةَ: **"إِنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى"**[1]

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَّاءُ!

وَفِي مَسَارِ الْحَيَاةِ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا مُقَدَّرٌ لَهُ أَنْ يُوَاجِهَ مَعَ صُعُوبَاتٍ وَمُعَانَاةٍ وَآلاَمٍ وَأَحْزَانٍ وَمَشَاكِلٍ مَادِّيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ بِمَا أَنَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ مَكْتُوبَةٌ فِي قَدَرِنَا. لِأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ بِاسْمِهِ، هُوَ "عَالَمُ الْاِمْتِحَانِ وَالْاِبْتِلاَءِ". وَلَقَدْ شَاهَدَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْاِمْتِحَانَاتِ الَّتِي نُحَاوِلُ أَنْ نَنْجَحَ فِيهَا. وَكَمَا تَعْلَمُونَ، أَنَّهُ لَقَدْ فَقَدَ وَالِدَهُ قَبْلَ وِلاَدَتِهِ بِشَهْرَيْنِ، وَعِنْدَمَا بَلَغَ سِتَّ سَنَوَاتٍ فَقَطْ مِنْ عُمْرِهِ كَذَلِكَ فَقَدَ وَالِدَتَهُ وَلِذَلِكَ هُوَ تَرَعْرَعَ يَتِيمًا مِنَ الْأَبَوَيْنِ. وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ لَقَدْ دَفَنَ بِيَدَيْهِ رَفِيقَةَ حَيَاتِهِ وَطِفْلَهُ فِي سِتِّ سَنَوَاتٍ مِنْ عُمْرِهِ. وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ، لَقَدْ تَعَرَّضَ لِعَدِيدٍ مِنَ الْقَمْعِ الْقَاسِي وَالتَّعْذِيبِ بِلاَ هَوَادَةٍ وَالْقُيُودِ الصَّارِمَةِ وَالْاِقْصَاءِ الشَّدِيدِ مِنْ قِبَلِ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ كَانَ مَعَ حُفْنَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْمَصَاعِبِ وَالْمَتَاعِبِ، لَمْ يَفْقِدْ نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَلَهُ وَعَقِيدَتَهُ أَبَدًا وَلَجَأَ دَائِمًا إِلَى رَبِّهِ وَطَلَبَ الْعِنَايَةَ وَالْمُسَاعَدَةَ مِنْهُ فَقَطْ. وَلَمْ يَتَّخِذْ مَوْقِفَ الْعُنْفِ وَالْبَطْشِ ضِدَّهُمْ، إِنَّمَا اِتَّخَذَ مَوْقِفَ الرَّحْمَةِ واللُّطْفِ بِهِمْ. وَلَمْ يَلْجَأْ أَبَدًا إِلَى حُلُولٍ قَاسِيَةٍ اَلَّتِي لَنْ يُوَافِقَ عَلَيْهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

قَالَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي قَرَأْتُهَا فِي بِدَايَةِ خُطْبَتِي هَكَذَا:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[2]

وَبِالطَّبْعِ لاَ أَحَدٌ مِنَّا يَرْغَبُ فِي مُوَاجِهَةِ الصُّعُوبَاتِ. وَلَكِنْ كَمُؤْمِنِينَ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّحَظَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَوْقَاتِ الْمُضْطَرِبَةِ مِنْ حَيَاتِنَا، كِلْتَاهُمَا جُزْءٌ مِنْ اِمْتِحَانِنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا. لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَمْتَحِنُ عِبَادَهُ بِطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ أَحْيَانًا عَنْ طَرِيقِ أَخْذِ مَا لَدَيْهِ وَأَحْيَانًا مِنْ خِلاَلِ إِعْطَاءِ الْكَثِيرِ مِنَ النِّعَمِ زِيَادَةً مِنْ حَاجَتِهِ. وَلِذَلِكَ أَوَّلًا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُحَاوِلَ التَّحَلِّيَ

بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ وَالْكَوَارِثِ وَالصَّدْمَةِ الأُولَى بَدَلاً مِنَ التَّمَرُّدِ وَالْغُلُوِّ وَالْعِصْيَانِ. ثَانِيًا يَنْبَغِى عَلَيْنَا أَنْ نَتَصَرَّفَ بِسَلِيمِ الْعَقْلِ وَحَصَافَةِ الرَّأْيِ وَالْبَصِيرَةِ، لاَ بُدَّ الْوَفَاءُ بِمَسْؤُولِيَّاتِنَا لِلتَّغَلُّبِ عَلَى الشَّدَائِدِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نَحْنُ نَسْتَخْلِصُ الدُّرُوسَ وَالْعِبَرَ مِنْ كُلِّ كَارِثَةٍ وَمُصِيبَةٍ نَحْوَ حَيَاتِنَا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَنَحْنُ نُرَاجِعُ كُلَّ أَخْطَائِنَا وَذُهُولِنَا حَتَّى لاَ نَتَعَرَّضَ لِمَشَاكِلٍ مُمَاثِلَةٍ. وَنَطْلُبُ مُسَاعَدَةً مِنْ أَشْخَاصٍ ذَوِى الْمَعْرِفَةِ وَالْخِبْرَةِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ نَسْتَعِينُ بِاللهِ نَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكِرَامُ!

يَقُولُ نَبِيّا الْحَبِيبُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى وَاحِدٍ مِنْ حَدِيثِهِ الشَّرِيفِ نَحْوَ تَالِى: **"عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرّاءُ شَكَرَ فَكَانَتْ خَيرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرّاءُ صَبرَ فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ "**[3]

لِذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنْ جَمَالِ الْإِيمَانِ هُوَ التَّمَسُّكُ بِالْحَيَاةِ وَالْاِسْتِقْوَاءُ مِنْ رَابِطَةِ مَعَ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِى الْيَوْمِ السَّيِّءِ بِقَدْرٍ مَا كَانَ فِى الْيَوْمِ الْجَيِّدِ. وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ الْاِنْسَانِ الْغَاضِبِ والْمُخْتَنِقِ بِكُرَبِ الْحَيَاةِ، اَلتَّحَوُّلُ عَجَزَهُ إِلَى الْعُنْفِ وَبِالتَّالِى ضَرْبُ زَوْجَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ هُوَ ظُلْمٌ كَبِيرٌ. لاَ يُمْكِنُ أَىُّ ضِيقٍ وَنِزَاعٍ وَاِكْتِئَابٍ أَنْ يَكُونَ ذَرِيعَةً مُعْتَبَرَةً لِلْعُنْفِ ضِدَّ الْمَرْأَةِ. لِأَنَّ الْعُنْفَ هُوَ اِنْتِهَاكٌ عَلَى حُقُوقِ الْعِبَادِ وَهُوَ تَسَمُّمُ الْأُسْرَةِ بِبُذُورِ الْأَلَمِ وَالْحِقْدِ وَالنَّفْرَةِ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ هُوَ الَّذِى يَنْشُرُ الْمَرْحَمَةَ وَالتَّعَاطُفَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ وَهُوَ الَّذِى يَغْرِس الثِّقَةَ وَالسَّلاَمَ فِيمَنْ حَوْلَهُ. وَلَنْ يَكُونَ حَلاًّ أَبَدًا أَنْ يَضُرَّ الشَّخْصُ لِنَفْسِهِ أَوْ عَائِلَتِهِ فِي مُوَاجِهَةِ الصُّعُوبَاتِ. لاَ يَسْمَحُ دِينُنَا أَبَدًا بِالْاِنْتِحَارِ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَجْلِ تَخْفِيفِ الأَلَمِ لأَنَّ الرُّوحَ هِى أَمَانَةٌ لِنَا مِنْ رَبِّنَا. لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَىُّ مُشْكِلَةٍ فَهُنَالِكَ اللهُ وَهُوَ عَالِجُ كُلَّ الْمَشَاكِلِ. فَهُو **﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾**[4] وَإِذَا كَانَتْ هُنَاكَ أَىَّ مُشْكِلَةٍ، فَهُنَالِكَ أَيْضًا أَصْدِقَاءٌ وَجِيرَانٌ وَأَقَارِبٌ الَّذِينَ سَيَجِدُونَ حُلُولاً لِلْمَشَاكِلِ مَعًا. فَـ **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾**[5]

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعِزَّاءُ!

دَعُونَا لاَ نُحَوِّلُ مُعَانَاتَنَا إِلَى الْعِصْيَانِ وَالْاِضْطِهَادِ. وَلاَ نَنْسَى أَنَّ مَوْقِفَنَا الثَّابِتِ وَالصَّمُودِ ضِدَّ صُعُوبَاتِ حَيَاتِنَا هُوَ سَوْفَ يَكُونُ نَذِيرًا وَبَشِيرًا لِأَيَّامٍ يُسْرَى بِإِذْنِ اللهِ. لَقَدْ جِئْنَا إِلَى هَذَا الْعَالَمِ لِكَىْ نُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَنَعْمَلَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ. دَعُونَا نَتَذَكَّرُ هَذَا الْحَدِيثَ التَّالِى اَلَّذِى يَعِدُ بِالْأَمَلِ وَالْعَزَاءِ وَالرَّاحَةِ: **" مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلاّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ، حَتّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا "**[6] إِذًا دَعُونَا نَيْأَسْ وَلاَ نَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ فَإِنّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَهَىَّ لِنَدْعُ إِلَى رَبِّنَا الْعَظِيمِ مَعَ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللّهُمَّ أْجُرْنِى فِى مُصِيبَتِى، وَأَعْقِبْنِى خَيْرًا مِنْهَا."**[7]

---

[1] صَحِيحُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، رَقَمُ الْحَدِيثِ 31
[2] سُورَةُ الْبَقَرَة، الآيَةُ 155/2
[3] صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الزُّهْدِ، رَقَمُ الْحَدِيثِ 64
[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآيَةُ 40/8
[5] سُورَةُ الْحُجَرَاتِ، الآيَةُ 10/49
[6] صَحِيحُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْمَرْضَى، رَقَمُ الْحَدِيثِ 1
[7] صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، رَقَمُ الْحَدِيثِ 4